بولس في تسالونيكي بحسب أع ١٧: ١-٩

الأب أيوب شهوان

مقدمة

من المؤكّد أنّ دراسة هذا النص هي ضروريّة لفهم عمل بولس التبشيريّ في تسالونيكي، الذي لولاه لما كانت هناك رسالة حرّرها الرسول إلى المرتدّين إلى الإيمان في تلك المدينة.

السؤال المطروح هو حول تاريخيّة ما حرّره لوقا حول هذا الموضوع، والأجوبة متوفّرة، كما سنتبيّن من خلال هذه العجالة.

١) تسالونيكي

في الماضي، كانت "تسالونيكي"، التي تُدعى اليوم "سالونيكي"، المدينةَ الأوسعَ والأهمَّ في مقاطعة مكدونيا، وعاصمتَها، كما كانت كورنتس عاصمةَ آخائيا، ومقرَّ الوالي الرومانيّ، ولها مرفأ هامّ على بحر إيجه، وتبعد حوالى ١٥٠ كلم عن فيليبي. وكان لها وضع المدينة الحرّة، لذلك كان يحكمها قادةٌ محلّيّون. لجأ إليها شيشرون سنة ٥٨ ق. م. أمّا سكّانها فكانوا خليطًا من الرومان، بالإضافة إلى عدد من الإتنيّات، ومن بينها جماعة يهوديّة هامّة تشكّل نصف سكّانها، ولها مجمعٌ خاصٌّ بها، إلى حدّ أنها كانت مركز الشتات اليهوديّ في مكدونيا. هذا يفسّر الوضعَ الدينيَّ المتنوّعَ في المدينة، حيث كانت هناك عدّة طقوسٍ يُحتَفَل بها في الوقت الذي أتى فيه بولس حاملاً الإنجيل. وكانت هذه الطقوس متداخلة في ما بينها إلى حدّ أنّه كان من الصعب التمييز بين ما هو دينيّ وبين ما هو سياسيّ في نشاط السكان اليوميّ. بالاختصار، بالإمكان أن توصَف تسالونيكي بأنّها مركز إدارة رومانيّة، وحضارة هلّينيّة، وتأثير يهودي.

كانت تسالونيكي تقوم على الطريق الإغناطيّة، وهي الطريق التجاريّة الأهمّ بين إيطاليا والشرق، الأمر الذي يتيح لنا أن نتبيّن سبب اعتبار لوقا لها بأنها كانت مركزًا استراتيجيًّا للرسالة بالنسبة إلى بولس ورفقائه. فاستنادًا إلى رأي لوقا، بعد التبشير هناك، صار بإمكان الإنجيل أن يُشعّ في المناطق المحيطة، المتوسطيّة والأوروبيّة. لكن، كما يخبر سفر أعمال الرسل، كان اليهود مصمّمين على القضاء على الرسالة هناك.

٢) بولس في تسالونيكي كما يسوع في الناصرة

"توازي أعمالُ بولس في تسالونيكي أعمالَ يسوع قبله عند مجيئه إلى الناصرة[١]:

- "وأتينا تسالونيكي، حيث كان لليهود مجمع. ودخل بولس عليهم كعادته، وجادلهم ثلاثة سبوت،

(١) *The Collegeville Bible Commentary. New Testament* (The Liturgical Press: Collegeville, Minnesota 1992) 1059; *The New Jerome Biblical Commentary* (Prentice Hall: New Jersey 1990) 754 (=44:92)

منطلقًا من الكتب" (أع ١٧: ١-٢).

- "وجاء يسوع الناصرة، حيث كان ترعرع. وكعادته دخل المجمع يوم السبت، وقام ليقرأ" (لو ٤: ١٦).

سافر، ووصل إلى تسالونيكي، وعلّم في المجمع هناك يوم السبت "كعادته". وكما علّم يسوع أنّ الكتب المقدّسة التي سبق وأنبأت عن المسيح، إنّما تكلّمت عنه، كذلك بولس أعطى برهانًا مزدوجًا من الكتب المقدّسة أنّه كان على المسيح أن يتألّم ويقوم من الموت، مبرهنًا أن يسوع كان ذاك المسيح. وكانت النتيجة أنّ سامعيّ بولس اقتنعوا، إذ إنّ كثيرين من خائفيّ الله غير المختونين، وهم من أصل يونانيّ، وسيّدات مرموقات المقام، انضموا إلى اليهود القلائل الذين تمكّن بولس من إقناعهم بالبشارة.

٣) أع ١٧: ١-٩

٣/١ - بنية النصّ

يبدو نصّ أع ١٧: ١-٩ رواية نموذجيّة مبنيّة بشكل دقيق لتحرّك سياسي واجتماعي ضدّ بولس خلال تبشيره في تسالونيكي. بإمكاننا تقسيم الموضوع إلى ثلاث وحدات، هي التالية:

آ ١-٤: تقديم الإنجيل
آ ٥-٧: نبذ اليهود للإنجيل
آ ٨-٩: مفعول نبذ الإنجيل ترسيخُه.

- تقديم الإنجيل (آ ١-٤)

تركّز آ ١-٤ على إعلان بولس "البشرى السارّة" في تسالونيكي لمدّة "ثلاثة أسابيع" (آ ٢). استنادًا إلى رسائل بولس بالذات، يبدو أنّ إقامته في تسالونيكي كانت لأكثر من ثلاثة أسابيع: "وإذ كنت لا أبرح في تسالونيكي، بعثتم إليّ مرّة واثنتين بما يسدّ حاجتي" (فل ٤: ١٦).

اعتاد بولس أن ينطلق من كتب العهد القديم عند تبشيره بني قومه اليهود (آ ٢)، ليثبت بها مسيحانية يسوع، وضرورة أن يتألّم ويقوم (آ ٣؛ رج لو ٢٤: ٢٥-٢٧، ٤٤-٤٦). كان مضمون خطاب بولس هناك، وحيثما حمل البشرى، يتمحور إذًا حول آلام يسوع المسيح، وموته، وقيامته (آ ٣).

انطلاقًا من الجملة "جماعة كبيرة من عابديّ الله اليونانيين" (آ ٤)، يمكننا أن نستنتج أنّ معظم مؤمنيّ تسالونيكي كانوا من اليونانيين المهتدين (رج ١ تس ١: ٩-١٠). أمّا اهتداء "سيّدات المجتمع" (آ ٤) فكان ذا أثر ملحوظ في قبول البشرى وانتشارها (رج أع ١٣: ٥٠؛ ١٧: ١٢)، عُرفت منهنّ "ليديا" (أع ١٦: ١٤)، و"برسكِلاّ" (١٨: ٢).

- نبذ اليهود للإنجيل (آ ٥-٧)

تلفت آ ٥-٧ انتباه القارئ إلى المعارضة المنظَّمة للإنجيل. فلقد أثار اليهود الشغبَ ضدّ بولس وشركائه. وبدعمٍ من بعض أبناء المدينة، انقضّوا على بيت ياسون، مضيف بولس، لاعتقادهم أنّه كان يُغطّي نشاط بولس الرسوليّ هناك ويدعمه. وبما أنهم لم يجدوا بولس وشركاءه، سعوا إلى تسليم "ياسون والإخوة" (ἔσυραν τὸν Ιάσονα καὶ τινας ἀδελφοὺς، ١٧: ٦) إلى "جمعيّة" (δημος) الشعب[٢]. لكنّهم قرّروا لاحقًا أن يُرغِموا المرتدّين إلى الإيمان على أن يمثلوا أمام حكّام المدينة، حيث قدّموا شكاوى جديّة ضدّ المرسلين، باعتبار أنّهم هم مَن "قلبوا العالم رأسًا على عقب"، و"خالفوا أحكام القيصر" (ἐναντίον τῶν προσταγμάτων τοῦ Καίσαρος، ١٧: ٧)، وذلك من خلال تنصيبهم يسوع ملكًا: "ينادون بملك آخر، هو يسوع" (آ ٧). بهذه التهمة حاول يهود تسالونيكي أن ينسبوا إلى بولس وسيلا عملاً يستحقّ أقصى العقوبات، كما فعل إخوتهم من قبل في أورشليم (لو ٢٣: ٢؛ يو ١٩: ١٢). وهكذا عمّ الشغبُ والفوضى المدينةَ بأسرها.

(٢) Florence Morgan GILLMAN, "Jason of Thessalonica (Acts 17, 5-9)", in Raymond COLLINS F., *The Thessalonian Correspondence* (Bibliotheca Ephemerdum Theologicarum Lovaniensium, Leuven University Press, 1990) 38-49.

- مفعول نبذ الإنجيل ترسيخُه (آ ٨-٩)

تتضمّن آ ٨-٩ النتائج الظاهرة للنبذ وللشغب. لقد أزعج امتداد الشغب الحكّام الذين أوكلوا إلى الشرطة مهمّة ضبط الأمور، فإذا بياسون والإخوة الذين معه قَيْد الإعتقال. لكن بعد التدقيق في القضيّة، لم تجد السلطات أي شيء لتجريم هؤلاء، فأطلقت سراحهم.

إذًا، يمكن هكذا وصف أع ١٧: ١-٩ بأنّه وحدة متجانسة من حيث البنية. تشكل البنيةُ الثلاثيّة، التي تتضمّن تقديم الإنجيل، ونبذه، وتثبيته، الأساس الذي عليه شيّد لوقا قصته. مع هذه البنية يريد لوقا أن يُفهم قرّاءَه الضيق الذي واجهه الإنجيل؛ فقد أُعلِن وقُبِل، مع هذا قامت في وجهه معارضة شديدة فنُبذ، لكنّ نتيجة ذلك كانت ترسيخ الإنجيل. إذا كان هذا التحليل يُعطي صورة حقيقيّة للوضع في تسالونيكي في الوقت الذي كان بولس يبشّر هناك، فإنّ وحدات المقطع الثلاث تبدو مفيدة جدًّا لفهم خط التفكير واللاهوت فيه.

٢/٣ - تفسير النص

آ ١-٤

يُفيد لوقا أنّ بولس عبرَ مسافةَ ٩٥ ميلاً كي يصل إلى تسالونيكي غربًا عبر "الطريق الإغناطيّة" (Via Egnatiana).

كان للمدينة مجمعٌ مركزيٌّ للجماعة اليهوديّة التي كانت هناك. يستسيغ لوقا إخبار قُرّائه أنّ بولس كان "معتادًا" (آ ٢) على التبشير في "مجمع اليهود" (ἡ συναγωγὴ τῶν Ἰουδαίων) عندما كان يصل إلى مكان الكرازة. ومن المحتمل أنْ تكون هذه العادة نتيجةً لدعوة رسميّة يوجّهها رئيس المجمع إلى بولس ليُخاطب الجماعة، وهذا ما قام به بولس في تسالونيكي على "ثلاثة سبوت" (τρία σάββατα، ١٧: ٣).

يُعْنَى بولس بأن تكون الفرصة الأولى في تبشيره هي لخلاص اليهود، وذلك لأنّ مضمون بشارته يتأتّى "من الكتب" (ἀπὸ τῶν γραφῶν، آ ٣)، أي من نصوص مختارة من الأسفار المقدسة التي بها برهن أنّ الوقائع التاريخيّة التي تحقّقت في تبشير يسوع، وموته وتمجيده، قد تمّمت النبوءات التي سبق وقِيلَت عنه[٣]. من هذه التشكيلة من النصوص البرهانيّة، بَيَّنَ بولسُ أنّه كان على المسيح أن يتألّم حتى الموت، وأن يقوم من بين الأموات[٤]. من بين الأمور التي نادى بها بولس، هي تعليمه سامعيه بأنّ المسيح الذي تكلّمت عليه الكتب، هو يسوع الذي بشّرهم به. يجب الملاحظة بأنّ هذا التبشير المركزيّ، كان بالنسبة إلى لوقا والإنجيليّين الآخَرين التعليمَ الدينيَّ الذي أُلقِيَ في بلدان البشارة على السامعين الهلّينيّين الذين كانوا من أصل يهوديّ. من بين السامعين، كان هناك عدد هامٌ "من المتعبّدين" (ἐκ τῶν σεβομένων، آ ٤)، و"نساء عديدات من سيّدات المجتمع" (καὶ ἐκ τῶν πρώτων γυναικῶν οὐκ ὀλίγαι، آ ٤؛ من المحتمل أن يكنّ محسنات من المجمع اليهوديّ)، قبلوا جميعهم الإنجيل. يُلاحَظ هنا أنّ لدى الكاتب ميلاً للإخبار عن أنّ الارتداد كان يحصل من قِبَل طبقات المجتمع العليا أيضًا.

آ ٥-٧

يُعالج لوقا في آ ٥-٧ معارضة الإنجيل التي قام بها يهودٌ رافضون له. فلقد التهبوا حسدًا بسبب نجاح

(٣) بولس الفغالي، "استعمال التوراة في الدفاع عن الإيمان"، **أعمال الرسل عنصرة كل العصور** (دراسات بيبلية ١٠؛ لبنان ١٩٩٥) ٢٧٦-٢٩١. حول الموضوع ذاته يمكن العودة إلى الكتابين القيّمين التاليين:

E. EARL ELLIS, *Paul's Use of the Old Testament* (Baker Book Hous: Grand Rapids, Michigan 19912); Id., *The Old Testament in Early Christianity* (J. C. B. Mohr: Tübingen 1991).

(٤) نحن أمام لاهوتٍ لوقاويّ نموذجيّ، يمكن التثبت منه بالعودة إلى النصوص في لوقا وأعمال، وهي التالية: أع ٣: ١٨؛ ٢٣: ٦-١٠؛ ٢٦: ٢٣؛ لو ٢٤: ٢٦، ٤٦.

بولس[٥]، إذ إنّه اكتسب مرتدّين من بين المواطنين المنتمين إلى مختلف الطبقات. إنّ قبول العديد من "المتعبّدين" لصالح الإنجيل، خاصة ذوي النفوذ منهم، قد تسبّب بموجة بُغضٍ ضدّ بولس وشركائه. ما قد بدَا وكأنّه مسألة إتنيّة، أضحى في نظر لوقا تحركًا شعبيًّا ضدّ المسيحيّين، الأمر الذي نتبيّنه من الكلمة الفريدة لدى لوقا، وهي: "أَلَّبُوا الجموع" (συνεχεῖ τοὺς ὄχλους، آ ٥).

نعم، لقد أدخلوا المدينة في حالة فوضى وشغب، "وجاءوا دارَ ياسون" (آ ٥)، وسعوا لاقتناص الفرصة كي يقتادوه مع فريقه أمام "جماعة الشعب" (δῆμον، آ ٥). ولمّا لم يجدوا بولس وفريقه في بيت ياسون (آ ٦)، أمسكوا بهذا الأخير وبمَن معه من المسيحيّين وأسلموهم إلى "رؤساء المدينة" (آ ٦)، وراحوا يشكونهم بأنّهم مُثيرو شغَب سياسيّ، "قلبوا العالم رأسًا على عقِب"، وأنّ نشاطهم هذا المشبوه قد غطّاه ياسون الذي "يُضيفهم" (آ ٧). كما ادّعوا عليهم أيضًا بأنّهم كانوا "يُخالفون" بمسلكهم وبتصريحاتهم "أحكام القيصر" (ἀπέναντι τῶν δογμάτων Καίσαρος، آ ٧)، وأنّه بدعايتهم غير الشرعيّة هذه قد "نادوا بملك آخر" (πράσσουσιν βασιλέα ἕτερον، آ ٧)، "هو يسوع" (εἶναι Ἰησοῦν، آ ٧)، معتبرينه زورًا حـ ئمًا منافسا يريد أن يأخذ مكان الأمبراطور. يمكن تبيّن ذلك من خلال اختيار لوقا عمداً لكلمة "ملك" βασιλέα، آ ٧)، وهو التعبير الذي يستعمله اليونانيّون للدلالة على الأمبراطور.

لدينا هنا في آنٍ معًا وقائع تاريخيّة ورواية لاهوتيّة. المعطيات التاريخيّة، كالمجمع مثلاً، ووجود جماعة يهوديّة، ويونانيّين من كلّ الطبقات، وياسون[٦]، والحكّام، يستعملها لوقا ليحدّد روايته "اللاهوتيّة" للصراع القائم في الكنيسة الأولى بين المجمع والكنيسة. يهدف مضمون هذا النصّ وفكرته المحورية إلى تسليط الضوء على المعارضة اليهوديّة للمسيحيّة في البدايات، وهو من الموضوعات الثابتة عند لوقا؛ ففي إنجيله يبيّن أن اليهود، وبتوافق مع الحاكم الروماني بيلاطس، اتّهموا يسوع بأنّه يثير الشعب من خلال تعليمه في اليهوديّة، مبتدئًا من الجليل وحتى أورشليم.

على ضوء هذه الفكرة المركزيّة، يمكن القول إنّ لوقا يواصل معالجة موضوعه في رواية أعمال الرسل. هو يضع بطريقة ماهرة بداية تبشير بولس في "مجمع (ὅπου ἦν συναγωγὴ τῶν Ἰουδαίων، آ ١) بهدف أن يؤمّن السيناريو للصراع. من أجل رؤية ما فعله لوقا من خلال مدوّناته التاريخيّة حول ما حصل أثناء تأسيس الجماعة المسيحيّة في تسالونيكي، من المهمّ الإقرار بما حفظه من تفاصيل حول انغماس اليهود في الصراع.

للإجابة على هذا السؤال من الضروري القيام بتحليل للنظريات المتعلّقة بهذا النصّ. ما المقصود، مثلاً، بالقول: "قالبين العالم رأسًا على عقب" (οἱ τὴν οἰκουμένην ἀναστατώσαντες، آ ٦)؟ من حيث قيمتها، توحي التهمة بنشاط قد حصل خارج تسالونيكي. اعتُبِرَ المُرسلون أناسًا مذنبين لأنّهم تسبّبوا في البلبلة في مقاطعات أخرى. إن تعليم بولس حول دور يسوع المركزيّ في الخلاص، وحول اختياره الإلهي على أنّه "المسيح" (Χριστὸς)، قد قَلَبَ وضع القيم رأسًا على عقب، كما جاء في التهمة الموجّهة إلى الذين جاؤوا بطريقةِ حياةٍ جديدةٍ مبنيّةٍ على الإنجيل.

ففي حين أنّ الادّعاء على المرسَلين يبدو وكأنّه يرتكز على قضيّة الإخلال بأمن المجتمع، فإنّ التهمة بأنّهم "خالفوا أحكام القيصر" هي بالأحرى سياسيّة؛ فكيف يمكن أن نفهم أنّ بولس وشركاءه قد "خالفوا أحكام

(٥) بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس إلى أهل تسالونيكي** (محطّات بيبلية ٥؛ لبنان ١٩٩٧) ١٣-١٤.

(٦) هو تصغير هلّيني للاسم اليهودي "يشوع".

القيصر"؟ هل هناك حدثٌ تاريخيٌّ يتضمّنه كلام لوقا ؟ يمكن التأكيد أنّ هناك تأليفًا لوقاويًّا حرًّا مبنيًّا على وقائع تاريخيّة كانت في متناول اليد. ولأنّ لوقا يصف اليهود هنا بأنهم مهندسُو الشغب، فمن الضروري بالنسبة إليه بأن يُعلِمَ قارئيه أنّ الفريق المبشِّر كان بنظرهم يُخالف الأحكام الأمبراطوريّة التي كانت تحمي "السلام والأمن" في الدولة. تبرّر هذه الفكرة توقيفَ المسيحيّين الذين قاموا بنشاط رسوليّ كهذا. من المرجّح أن لوقا يريد من قارئه أن تكون لديه الفكرة بأنّ اليهود كانوا مسؤولين عن اعتبار تبشير بولس بـ"ملكيّة" (آ ٧، βασιλέα) يسوع، و"مجيئه" (παρουσια)، ولقب "الرب" (κύριος) كمخالفة لما اعتبره حزءًا ثانويًّا لقانون القسم.

آ ٨-٩

في آ ٨-٩ الختاميّتَين يصف لوقا تثبيتَ الإنجيل في تسالونيكي. فلقد فحص الحكّام الادّعاء الذي لم يَنظروا إليه بارتياح، فلم تثبت التهم المقدّمة، إذ لم يكن ممكنًا إعطاء البرهان أن الرسل قد نشروا أيّ شكل من مفهوم انتصاري لملكيّة يسوع بين التسالونيكيّين. ولأنه لم يكن هناك مادة في الادعاء ولا أسس لإقامة دعوى ضدّهم، فإن الأشخاص المتّهمين لم يكن ممكنًا ملاحقتهم. عندها أطلق قادةُ المدينة ياسون وشركاءَه، بعد أنْ طُلب إليهم أن يُحافظوا على السلام، وأن يبعدوا المبشّرين عن المدينة لبعض الوقت.

خاتمة

انطلاقًا من الواقع الذي لا جدال حوله أن بولس وصل إلى تسالونيكي حاملاً بشرى الإنجيل، إذا كان اليهود يُذكرون بأنهم المحرّكون الرئيسيّون للشغب ضدّ بولس ونشاطه، كان لوقا بحاجة إلى أن يحدّد مكان نشاط بولس في مجمع اليهود، بهدف أن يُعطي ثقلاً لروايته. إنّ وجود ياسون وبيته الذي صار كنيسة مثبَتٌ تاريخيًّا، كذلك الجمع والحكّام أيضًا كونهم يَبدون مرتبطين بالبنية الاجتماعية للمدينة في ذلك الزمان. لذلك من الأفضل أن نفهم من استعمال هذه التفاصيل أنّ لوقا يريد أن يُبرز اهتماماته اللاهوتيّة في أع ١٧: ١-٩. بالنسبة إليه كان المرسلون يُعْتَبَرُون "أشخاصًا غير مرغوب فيهم"، أمّا الإنجيل والتبشير به فَلَمْ يكونَا خاضعين لأي إقفال للأبواب في وجههما.

المراجع

- فغالي (الـ) بولس، "استعمال التوراة في الدفاع عن الإيمان"، **أعمال الرسل عنصرة كل العصور** (دراسات بيبلية ١٠؛ لبنان ١٩٩٥) ٢٧٦-٢٩١.

———، **رسالة القديس بولس إلى أهل تسالونيكي** (محطّات بيبلية ٥؛ لبنان ١٩٩٧).

Collegeville (The) *Bible Commentary. New Testament* (The Liturgical Press: Collegeville, Minnesota 1992) 1059.

EARL ELLIS E., *Paul's Use of the Old Testament* (Baker Book Hous: Grand Rapids, Michigan 1991).

_____, *The Old Testament in Early Christianity* (J. C. B. Mohr: Tübingen 1991).

GILLMAN Florence Morgan, "Jason of Thessalonica (Acts 17, 5-9)", in Raymond COLLINS F., *The Thessalonian Correspondence* (BETL, Leuven University Press, 1990) 38-49.

New (The) *Jerome Biblical Commentary* (Prentice Hall: New Jersey 1990) 754 (= 44:92).